غزليات العباس بن الأحنف ١٩٤هـ بين الشاعرية والسردية (مختارات من شعره)

Ghazals of Al-Abbas bin Al-Ahnaf, 194 AH, between poetry and narrative (selections from his poetry)

م. د. بشرى سلام عبد الرضا*[1]

Dr. Bushra Salam Abdel Reda*[2]

الملخّص:

يعد الغزل من أشهر الأغراض الشعرية التي شاعت في أوساط الشعر العربي على مر العصور، إذ كتب معظم الشعراء في هذا الغرض وبرعوا فيه، والعباس بن الأحنف أحد هؤلاء الشعراء الذين آثروا أن يكون الغزل غرضهم الفريد والمأثور فيما يكتبه من شعر، إذ لزم الغزل في شعره ولم يكتب في سواه من الموضوعات، إلّا أن غزله كان عفيفًا طاهرًا سواء أكان في محبوبته (فوز) أم في غيرها من النساء اللواتي وردت أسماؤهن في شعره. تتضح شاعرية العباس بن الأحنف من خلال ما صوره في شعره من لوحات غزلية تكشف عن الإبداع والتفنن في رسم صورة المحبوبة وما يعتريه من شوق وعناء بسبب صدّها وهجرانها، فوصف وشكا وتغزّل وكابد لوعة الفراق موظّفًا الفنون البلاغية المختلفة من جناس وطباق ومقابلة إلى جانب الصور الاستعارية والكنائية للتعبير عن عواطفه وأحاسيسه، فضلًا عن حضور مظاهر السرد في أشعاره متمثلة بعنصر الحوار الذي دار بينه وبين المحبوبة، وبين عينه وقلبه في بعض قصائده، مع حضور تقنيات السرد في شعره كالزمان والمكان، فجمع بين السردية الشعرية والبنية الحوارية ما أضاف الى شعره عمق التجربة ووضوح الرؤية بمنحها أبعادًا فنية تستمد بريقها من صوره الشعرية الى جانب مظاهر السرد التي طرّزت أشعاره موظّفًا إياها لاستثارة المشاعر وتحريك العواطف، ولاسيما أنه كتب بالغزل وآثره على باقي أغراض الشعر المعروفة، وقد أشاد به كثير من النقاد القدامى وبشعره مثل الجاحظ وأبو العباس بن المبرد وابراهيم بن العباس، وهذا إن دل على شيء إنّما يدل على منزلة العباس بن الأحنف بين الشعراء العباسيين وما حظي به شعره من شهرة واسعة في ميدان الغزل العذري العفيف.

الكلمات المفتاحية : الغزل – العباس بن الأحنف – الشاعرية – السردية.

* كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية – العراق.

Email: bushrasalam@uomustansiriyah.edu.iq

* College of Basic Education/Al-Mustansiriya University - Iraq.

Abstract:

Ghazal is one of the most famous poetic purposes that has been widespread among Arab poetry throughout the ages, as most poets wrote for this purpose and excelled at it, and Al-Abbas bin Al-Ahnaf is one of those poets who chose to make ghazal their unique and traditional purpose in the poetry he wrote, as ghazal was necessary in his poetry. He did not write about other topics, but his flirtation was chaste and pure, whether it was about his beloved (Fawz) or other women whose names appeared in his poetry. The poeticism of Al-Abbas bin Al-Ahnaf is evident through the flirtatious paintings he depicted in his poetry that reveal the creativity and sophistication in drawing the image of the beloved and the longing and trouble he experienced because of her rejection and abandonment. He described, complained, flirted, and suffered the agony of separation, employing the various rhetorical arts of alliteration, antithesis, and contrast, in addition to metaphorical and metonymic images. To express his emotions and feelings, in addition to the presence of aspects of narration in his poetry, represented by the element of dialogue that took place between him and his beloved, and between his eyes and his heart in some of his poems, with the presence of narration techniques in his poetry, such as time and place, so he combined poetic narration with the dialogical structure, which added to his poetry the depth of experience and clarity. The vision is given artistic dimensions that derive its luster from his poetic images, in addition to the narrative aspects that embroidered his poetry, using them to arouse feelings and stir emotions, especially since he wrote with ghazal and its influence on the rest of the known objects of poetry. Many ancient critics praised him and his poetry, such as Al-Jahiz, Abu Al-Abbas bin Al-Mubarrad, and Ibrahim. Ibn Al-Abbas, and if this indicates anything, it indicates the status of Al-Abbas Ibn Al-Ahnaf among the Abbasid poets and the wide fame that his poetry enjoyed in the field of chaste virginal flirtation.

Keywords: Ghazal - Al-Abbas bin Al-Ahnaf - poetic - narrative.

المقدمة:

حين نتحدث عن الشـاعر العباس بن الأحنف فإننا نتحدث عن ظاهرة فريدة في عصـرها. إذ يعد العباس بن الأحنف من الشـعراء الذين قصـروا شـعرهم على غرضٍ واحد هو الغزل، فلم يهج ولم يمدح كباقي شـعراء عصـره بل وَلَع بالغزل وعُرف بهذا اللون وأشـتهر به، وليسَ أي غزل بل اتخذ من الغزل العذري العفيف مادته الشـعرية، فصـوّر حبّه لمحبوبته (فوز) من خلال شـعره وكرّس ديوانه جلّه لهذا الغرض، وجمع بين البداوة ومظاهر التحضّـر، فتناول معاني العذريين بأروع الصـور وأرق الألفاظ، ونأى عن الأوصاف الحسية والمعاني الفاحشة، فكان مذهبه يقوم على الالتزام الخلقي والمذهب العفيف وضجّت صـوره الشـعرية بالفنون البلاغية (البيانية والبديعية) التي ألبسـت شـعره ثوب الإبداع والمتعة، فضـلاً عن توشيح شعره بمظاهر سردية، كان لها الأثر البالغ في منح شعره جمالية تطبع صوره الشعرية بطابع القوة

والتجديد ناتج من هذا التمازج بين الشعر والسرد، وقد تعددت الدراسات والأبحاث التي تناولت الشاعر العباس بن الاحنف فيما يتعلق بصوره الشعرية، والبناء الفني لقصائده ولغة شعره وحياته، لكنّي لم أجد دراسة تناولت شاعرية هذا الشاعر، أي صوره الشعرية إلى جانب مظاهر السرد المتداخلة في شعره، لذا وقع الاختيار على موضوع (غزليات العباس بن الأحنف بين الشاعرية والسردية –مختارات من شعره) وقد قُسّم البحث على مبحثين ضم الأول الصور الشعرية لدى الشاعر وما تضمنته من الفنون البيانية، والبديعية كالاستعارة والتشبيه والمحسنات البديعية ممثلة بالجناس والطباق أما المبحث الثاني فكان من نصيب السرد فضم عدداً من عناصر السرد التي أسهمت في تشكيل شعره كالحوار والزمان والمكان وقد سُبق هذين المبحثين بتمهيد تناول حياة الشاعر وخصائص شعره، فضلاً عن مقدمة موجزة للتعريف بعنوان البحث ومحتوياته، وأخيراً خُتم البحث بأهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة تلتها قائمة بالمصادر والمراجع التي كانت خير عون لنا في كتابة البحث وأخيراً نسأل الله التوفيق والسداد.

التمهيد:

العباس بن الأحنف، اسمه، حياته:

هو شاعر عباسي من أصل عربي واسمه "العباس بن الأحنف ابن الأسود بن طلحة بن حدّان بن كلدة بن جذيم ... بن حنيفة" (الأندلسي، بلا.ت، صفحة ٣١٠)، (البغدادي، ٢٠٠٤، صفحة ج١٢ / ١٢٧)، لقب بالأحنف نسبة إلى بني حنيفة القادمين من نجد ويكنى بأبي الفضل (عبد الرحمن، ٢٠٠٠، صفحة ٢٦٢)، وهو من الشعراء الذين اشتهروا بالغزل، بل "قصروا شعرهم على الغزل ولم يتجاوزوه إلى غيره من الفنون الشعرية وكان يفتخر بأنه لا يهجو ولا يمدح" (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٥)، فتميز شعره وتفرد به، ترجم له كبار النقاد والأدباء في كتبهم ومظانهم، واختلفت الأقوال في مكان ولادته ونشأته ففي ديوانه يذكر أنه من عرب خراسان ونشأته ببغداد، وكذلك يقال أنه من اليمامة "وهي بلدة في الحجاز فقيل له اليمامي، ولعله نسب إليها لمولده فيها" (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٥)، وفي روايات أخرى يذكر أنه ولد ونشأ في بغداد, أو أنه ولد في البصرة ونشأ في بغداد، وعلى اختلاف ما قيل بهذا الشأن فإن أكثر المصادر تشير إلى أنه شاعر عربي ونشأته في بغداد فهو شاعر عربي عراقي.

كان العباس بن الأحنف شاعراً ورجل سياسة، تربى في كنف عائلة عرفت بالثراء المادي، فكانت طفولته في أحضان أسرة غمرته بالترف والعيش الرغيد، وظهر منها أسماء معروفة مثل عمّه (حاجب)

المعروف بأنه شاعر ورجل سياسة (الأصفهاني، ١٩٣٥، صفحة ج٨ / ٤٦٦)، إلا أن حياة الترف واللهو لم تؤثر على أخلاقه وسلوكياته فقد اشتهر بالغزل العفيف في عصره وكانت قصائده الغزلية عذرية في الوقت الذي ساد في عصره الغزل الحسّي الماجن بل أنه عصر الشذوذ والغزل بالغلمان.

اتصل العباس بن الأحنف برجال عصره وكان اتصاله بهم اتصالاً وديّاً لا غاية من ورائه، فقد "اتصل بالمهدي والرشيد ولكنه اتصال ألفة لا اتصال غايته التكسب" (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٦)، وهناك أكثر من رواية في مقدمة ديوانه تثبت أنه لم يتقرب ويتكسب في شعره لأحد.

وكان العباس شاعرًا ظريفاً مطبوعًا له مذهب حَسن في الشعر ولم يكن فاسقًا أو خليعًا "وكان ظاهر النعمة ملوكي المذهب شديد الترف، وذلك بيّن في شعره وكان قصده الغزل وشغله النسيب... ولم يكن هجاءً ولا مداحًا" (ضيف، ١٩٦٦، صفحة ج٣ / ٣٧٦)، بل شاعر غزل استلهم غزله من حبه لمحبوبته (فوز)، وهي الفتاة التي أغرم بها، فضلاً عن ذكره لبعض الأسماء في ديوانه مثل "ظلوم وذلفاء ونرجس ونسرين وسمر وضياء على أن معظم تغزله كان بفوز، ويكاد غزله بها يستغرق ثلاثة أرباع ديوانه" (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٨)، إذ تغنى بها في أغلب قصائد ديوانه وربما تلك الأسماء أطلقها الشاعر على فوز، وسواء أكان الأمر كذلك أم لا فإن أغلب شعره جاء في الشكوى والتظلم من حب فوز وما يعتريه من ألم وهجر جراء عشقه لها.

خصائص شعره :

إن الأدب بصورة عامة هو نشاط إنساني يرتبط بحياة المجتمع وأفراده، ويعبر عن أفكار الفرد وعواطفه بأساليب شتى تتأرجح بين الشعر والنثر، فطبيعي أن يكون متأثراً بالمستوى الحضاري والثقافي للإنسان فمثلاً "الشاعر قبل أن يكون شاعراً فهو إنسان ينتمي إلى بيئة يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً تؤثر فيه ويؤثر فيها، ولكن أثرها فيه يكون أكبر في معظم الأحيان" (عبد الله، ٢٠١٢، صفحة ٧٢)، والباحث والمهتم في الأدب يستطيع أن يستشعر ما يضمه النتاج الأدبي من مظاهر تتعلق بالحضارة والترف المرتبطة بالحقبة التي نشأ بها ذلك النوع من الأدب، فالقارئ لشعر العباس بن الأحنف يستطيع أن يميز تلك المظاهر عن طريق المفردات التي استوحاها الشاعر فيما يتعلق بالمراسلة والمكاتيب والإهداء وغيرها من الألفاظ التي تكشف عن المستوى الحضاري لذلك العصر، فقد ضمت بعض قصائده أبياتاً تبين ذلك، منها ما قاله في قصيدة (لا رسول ولا كتاب) (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٥٨):

متى كانت ظلومُ إذا أتاها كتابٌ لا تَرِدُ له جوابا
تناساني الحبيبُ وملّ وصلي وصَدّ فلا رسولَ ولا كتابا

وظلوم من النساء اللاتي شغفن قلب العباس وتغنى بها في شعره بعد حبيبته فوز، وربما تكون هي فوز نفسها –كما ذكرنا سابقاً– وهنا يشكو الشاعر صد المحبوبة وتناسيها له، فلا ترد على كتبه التي يرسلها لها ولا تبادر بالتواصل، وتشح بالسؤال عنه، وهذا ما ترك في نفسه ألما بسبب إعراضها عنه، فنجد الألفاظ التي استعملها الشاعر في هذين البيتين ألفاظا معبرة عن الحضارة ولاسيما فيما يتعلق بالمراسلة والمكاتيب والإهداء وغيرها.

اتسم شعر العباس بن الأحنف بأنه شعر مقطوعات، ولا غرابة في ذلك فالنهضة التي حصلت في ذلك العصر بمختلف مناحي الحياة ألقت بظلالها على الأدب شعره ونثره، فأصبح الشاعر العباسي حرًا في إبداعه مطلقًا العنان لخياله كي يبدع في نظمه فابتعد الشعراء عن الكتابة في البحور الطويلة التي كانت سائدة في العصور التي سبقت العصر العباسي، وأخذوا يتجهون إلى البحور القصيرة، والمقطوعات ذات الأبيات المعدودة التي تصل أحيانًا إلى البيتين فقط، ويمكن أن يفسر ذلك، بأن المقطوعة ممكن أن تعبر عن موقف معين في ظرف ما يضطر الشاعر إلى البوح بما في داخله، ولاسيما أن العباس بن الأحنف جاءت أغلب أشعاره في التظلم والشكوى من محبوبته فوز، وما تركه حبها في نفسه والتي عبرت عن انفعاله وعواطفه، إذ إنها "تنبع من انفعال وقتي بفكرة معينة يحاول الشاعر معالجتها تنفيسًا عن نفسه وهو ما يقوم عليه البناء الفني للمقطعة" (بدران، ٢٠١١، صفحة ٥٦)، ومن مقطوعاته في ديوانه مقطوعة (مبتدأ الحسن) ويقول فيها (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ١٠٠):

لا تلومي على ظلوم فإن الـ ـلوم فيها مخالف للسَدادِ
مبتدأ الحسن صِيغَ منها ومنها فُرّق الحُسنُ في جميع العبادِ

فأعلاه يشيد الشاعر بجمال (ظلوم)، مختزلًا مشاعره وعواطفه تجاه حسنها معبرًا عن جمالها وإعجابه بها وفي ديوانه كثير من الأشعار من النمط ذاته.

ويتضح من شعر العباس بن الأحنف أنه تأثر بالإسلام وأثّر الإسلام به، إذ ارتبطت مفرداته وتراكيبه بالقرآن الكريم وأسلوبه، فهناك كثير من الألفاظ التي اقتبسها العباس بن الأحنف من القرآن وظفها خدمة لغرضه الرئيس (الغزل) في التعبير عن حبه وشغفه بحبيبته (فوز)، فابتعد عن التهتك والانحلال

واتسم شعره بالالتزام الديني بالمثل والأخلاق دون خدش لحياء أو مساس بعفة، ومن الأمثلة التي توضح التزامه الديني والخلقي وتأثره بالقرآن الكريم هو ما قاله في قصيدة (كنا آية للناس) (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٣٧):

إلى الرحمن أشكو حُبّ فوزٍ وجسماً شَفّهُ سقمٌ دخيلُ
سأهجُر كل أنثى بعدَ فوزٍ وأنكرُها وذاك لها قليلُ

فكان يستجير بالرحمن من جور حبيبته (فوز).

وقوله في قصيدة (استفتاء) (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٧٣) أيضًا:

يا أهل مكة ما يرى فقهاؤكم في عاشقٍ متعاهد لسلامِ
أترون ذلك ضائراً إحرامَه أم ليس ذاك بضائرِ الإحرامِ

ففي الشاهدين أعلاه دليل بيّن لالتزام الشاعر بالإسلام وبتعاليمه واقتباسه ألفاظاً وعبارات من القرآن الكريم تثبت ذلك مثل (كنا آية للناس) و (الرحمن) و (أهل مكة) وغيرها كثيرٌ متناثرٌ في ديوانه.

أما عن لغة شعره وألفاظه، فكما هو معروف أن لكل شاعر لغته الشعرية الخاصة به وأسلوبه المتفرد في اختيار ألفاظه ومعانيه، إذ إن "الشعر لغة يبدعها الشاعر لأجل أن يقول شيئاً لا يمكن قوله بشكل آخر" (كوهن، ١٩٩٠، صفحة ١٥٥)، ولغة العباس بن الأحنف هي لغة سهلة تبتعد عن التعقيد والتكلف، فقد كان عذب اللفظ، ورقيق الكلام وواضح المعنى في أغلب قصائده، ونستشهد ببيتين على وضوح المعنى وسهولة الألفاظ وهو ما قاله في قصيدة (بين الرضا والغضب) (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٤٧):

أيا غزالَ الذهبِ تركتني في تَعبِ
أليسَ هذا عجَبا بلى وفوقَ العجبِ

فتلك الألفاظ سهلة قريبة إلى النفس، واضحة المعنى وتجسد عاطفة صادقة تجاه المحبوبة، فشعره "يتناهى في اللطف ورقة الشعور وجمال الديباجة ومتانة التركيب ومقاطعُه كلها من السهل الممتنع على

أن قصائده لا تخلو من ألفاظ يحتاج معها مُطالعها إلى المعجم" (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ١١)، وهي في الأعم الأغلب ألفاظًا تراثية بعيدة عن لغة المدنية والتحضر منها ما ورد في قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٦٢):

يا أبا الفضل هيجتك الرسومُ بَعْدَ (فوزٍ) كأنهُنَّ الوشومُ
إنَّ وجدي بفقد (فوزٍ) وإشفا قي عليها والدهرُ دَهْرُ عشومٌ

والشاهد هنا لفظة (عشوم).

وقوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٩١):

أتراني جَزِعْتُ مما أقاسي إن هذا عليَّ مما يهونُ
وحوالي كالتماثيلِ أبكا رٌ حِسانٌ مِثلَ الجآذر عينُ

والشاهد من البيتين أعلاه لفظة (الجآذرعين)، وهي من الألفاظ التراثية التي تصف جمال المرأة، إذ يصعب على القارئ فهمها دون العودة إلى معانيها في المعاجم، وهناك ألفاظ عدة على شاكلة اللفظتين السابقتين في أشعاره.

المبحث الأول:

الصور الشعرية عند العباس بن الأحنف:

تعد الصورة الشعرية ركن أساسي من أركان العمل الأدبي، إذ تمثل وسيلة مهمة يتخذها الأديب في بلورة تجربته الإبداعية، وهي أداة الناقد في الحكم على جودة العمل الأدبي، ويمكن القول أنها "جزء حيوي في عملية الخلق الفني" (أبو ديب، ١٩٨٤، صفحة ٢٩).

إن الشعر عند القدماء كلام ينبعث من الفطرة ويمليه عليهم الواقع الذي يعيشونه بما فيه من مشاهد وصور، فيصور الشاعر ما يراه أمامه من تجاربَ وأحداث هي تعبير عن الواقع المعاش، يقول الجاحظ "الشعر فن تصويري يقوم جانب كبير من جماله على الصورة الشعرية وحسن التعبير" (حطاب،

٢٠١٧، الصفحات ١٨٨–١٩١)، وترتبط الصورة الشعرية، بخيال الشاعر وأفكاره، لأنها الوسيلة المثلى لإخراج ما في داخله من أحاسيس وعواطف وايصالها إلى المتلقي، لذا يمكن تعريف الصورة الشعرية بأنها "طريقة خاصة من طرق التعبير أو وجه من أوجه الدلالة تنحصر أهميتها فيما تحدثه في معنى من المعاني من خصوصية وتأثير، ولكن أياً كانت هذه الخصوصية أو ذاك التأثير فإن الصورة لن تغير من طبيعة المعنى في ذاته ... بل إنها يمكن أن تحذف من دون أن يتأثر الهيكل الذهني المجرّد للمعنى الذي تحسنه أو تزيّنه" (عصفور، ١٩٩٢، صفحة ٣٢٣). ونحن بصدد دراسة الصورة الشعرية عند العباس بن الأحنف بغية إظهار جمالها وأثرها في نسج اشعاره والبحث عن مكامن الإبداع فيها، ونبدأ أولًا بالصور الاستعارية.

الاستعارة :

كثرت الاستعارات في شعر العباس بن الأحنف وزينت غرض الغزل فيه، ومن أمثلة الاستعارة في شعره قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٦٣):

ولقد دفنتُ هواكُمْ مني بمقبرةِ القلوبِ
وكتمتُ حُبُكِ جاهداً ورَعيتُ غيبَكِ بالمغيبِ

وكما هو معروف فإن (الدفن) هي لفظة تخص الإنسان فإنه يدفن بعد موته إكراماً له، والشاعر هنا استعار لفظة (الدفن) للهوى ويريد بذلك كتم حبه موضّحاً أنه يدفن حبه لمحبوبته في قلبه حرصاً منه على عدم الإباحة به، فعدّ الشاعر حبه لفوز سر واجب الكتمان، وجعل قلبه المقبرة التي يدفن فيها هذا الحب وكيف لا والقلب هو موطن المشاعر والأحاسيس عند البشر، والشاعر هو العاشق الكَلِفُ بمحبوبته.

وفي مثال آخر للاستعارة في شعره قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٣١٢):

عينُ الزمانِ أصابتنا فلا نَظَرت وعَذّبت بفنون الهجر ألوانا
يا ليتَ من نتمنى عند خلوتنا إذا خَلا خُلوةً يوماً تمنانا

وهنا يُرجّح الشاعر أن سبب المصائب التي حلت به وما لحقه من ضرر بسبب الصد وبعد المحبوبة هو نتيجة الحسد، فاستعار لفظة (العين) للزمان والتي كانت هي السبب في ما حل به من هجر وفراق لمحبوبته، معبراً عن مشاعره وما يخبئه داخل نفسه من هم وحزن نتيجة هذا الحسد، مما دعاه إلى الدعاء على عين الزمان أن تعمى فلا تحسد أحداً بعد ذلك، وأن يحل بها ما يحل به من العذاب واللوعة متمنياً في الوقت ذاته أن يتمناه الحبيب عند خلوته مثلما يتمناه هو. وفي مثال آخر يقول فيه (العتيق، ١٩٨٥، صفحة ١٢٦):

قد سَحَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفرّقَ الناسُ فينا قولَهُمْ فِرَقا
فجاهلٌ قد رمى بالظّنِ غيركمُ وصادقٌ ليس يدري أنّهُ صَدقَا

تتجسد الاستعارة في البيتين السابقين في صورة بليغة حين يستعير الشاعر لفظة (أذيال) للظنون، فشبه الظنون بالثياب التي لها أذيال، والناسُ يسحبون تلك الأذيال تعبيراً عن اختلافهم في القول وكثرة جدالهم فيه، فلا يعلمون حقيقة المشاعر الكامنة في نفوسهم لاعتمادهم على الظنون والأقاويل.

التشبيه :

للتشبيه تأثير في النفوس يأخذها من معنى خفي إلى معنى جلي وهو التماس الشبيه للشيء في غير شكله وجنسه، ذلك أن التشبيه "لا يكون في الجنس" (العتيق، ١٩٨٥، صفحة ٦١)، فالتشبيه لغة هو "التمثيل وهو مصدر مشتق من الفعل شبه بتضعيف الباء، يقال شبّهت هذا بهذا تشبيها، أي مثّلتُ به" (العتيق، ١٩٨٥، صفحة ٦١)، أما في معناه الاصطلاحي فقد تعددت تعريفات التشبيه في كتب البلاغيين، إلا أن معظم هذه المؤلفات اتفقت على معنى واضحاً للتشبيه وإن اختلفت ألفاظها في التعبير عنه، يقول ابن رشيق القيرواني في تعريف التشبيه أنه "صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه" (القيرواني، ١٩٨٥، صفحة ج١ / ٢٥٦)، ويعبر عبد القاهر الجرجاني عن مدى أثر التشبيه في التعبير عن المعاني المختلفة بقوله: "فإن كان التشبيه مدحًا كان أبهى وأفخم وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف وأسرع للإلف وأجلب للفرح وأغلب على الممتدح..، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر" (الجرجاني، ١٩٩١، الصفحات ٩٣-٩٦).

يسعى الشاعر من خلال جهده الشعري إلى توثيق الصلة بين عناصر الواقع والفن فأكثر من التشبيه في شعره وأصبح يشغل جانباً كبيراً في تكوين الصورة الفنية في شعره، ومن أمثلة التشبيه في شعره قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٦٢):

يا أبا الفضل هيجتكَ الرسومُ بَعْدَ فوزٍ كأنهنَّ الوشومُ

وفي البيت أعلاه يخاطب الشاعر نفسه مستمداً صورته من البيئة ويبين أن الآثار الباقية من ديار الحبيبة وهي الرسوم قد أثارت فيه العاطفة والحنين وشبهها بالوشوم التي لا تُمحى آثارها من الجلد، فضلاً عن لونها الحالك دلالة على حزنه لفراقها.

وفي مثال آخر للتشبيه عند الشاعر يقول فيه (الخزرجي، ١٩٥٤، صفحة ١٠٨):

نعمةٌ كالشمس لمّا طلعت ثبت الإشراقُ في كلّ بلدِ

ففي البيت السابق يشبه الشاعر محبوبته بالشمس عندما تشرق لجمال وجهها واشراقته عندما تخرج، فيملأ نورَ وجهها المكان الذي تحل فيه كالشمس التي تبث شعاع نورها عندما تشرق في كل بلدة وفي هذا التشبيه صورة جميلة معبرة عن حبه واعجابه بمحبوبته.

وفي موضع آخر يقول (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٩٣):

إن دخلتُ البستانَ أذكرني ريـ حَكِ وريحُ النسرين والتفاحِ

وفي هذا البيت يشبه الشاعر رائحة حبيبته برائحة ورد النسرين والتفاح عند دخوله البستان.

وهنا نجد أن الشاعر استوحى صوره التشبيهية من الطبيعة وما فيها من عناصر كالشمس والورد والخمر والوشم وفيها يجمع بين الصور المادية والمعنوية بإطار بديع، جسّد فيه الإبداع والفن في تشكيل الصورة ما أضفى على شعره جمالًا وقبولًا في النفس.

المحسنات البديعية :

للمحسنات البديعية أثر بالغ في تحسين وجوه الكلام فهي ليست مجرد زخارف لفظية يؤتى بها لتزيين الكلام وتنميقه، بل تلعب دوراً كبيراً في تعزيز المعاني وجذب انتباه القارئ لتحدث نشاطاً تفاعلياً بينه وبين النص الذي أمامه، وعليه يمكن تعريف البديع في اللغة، بأنه كلمة مأخوذة من "بدع الشيء أنشأه وبدأه أي أخترعه" (ابن منظور الاغريقي، ٢٠١٠، صفحة ج٨ / ٧)، وعندما يقال كلام بديع فإنه يخص تحسين الألفاظ واضفاء لمسة جمالية لها، أما في الاصطلاح فإن البديع يعرف بأنه "علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة" (العلوي، ٢٠٠٢، صفحة ج٣ / ١٣٧)، وقد كثرت ألوان البديع عند العباس بن الأحنف، والتي وظفها في تصويره الفني، إذ جمع بين الجناس والطباق والمقابلة في صورٍ فنية بديعة، على الرغم من أنه لم يتعمد التكلف وجاءت صوره تتسم بالعفوية والبساطة.

فمثال على الجناس في شعره قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٦٩):

قالت ظلومُ سَميّة الظُلمِ مالي رأيتُكَ ناحِلَ الجسمِ

وهنا يستعين الشاعر بالجناس في لفظتي (ظلوم) و (ظلم) مشيراً بصراحة إلى الظلم الصادر من محبوبته التي سماها (ظلوم)، فيبين أن في اسمها شيء من صفتها وهي الظلم، عندما تسأله عن حاله السقيم ونحول جسمه وهي تعرف سبب ذلك وهو وقوعه في حبها.

وفي موضع آخر للجناس في شعر الشاعر يقول فيه (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٥٦):

ينامُ الهاجعونَ ونومُ عيني إذا هجعوا بكاءٌ وانتحابُ

وفي هذا البيت يجانس الشاعر بين لفظتي (الهاجعون) و (هجعوا)، للتعبير عن حاله المتعَبة، فيصف حال الناس عندما ينامون بالهدوء والسكون، بينما هو يبقى مستيقظاً يبكي وينحب بصوت عالٍ لما فيه من ألم وعذاب بسبب عشقه لمحبوبته فلا يحلو له شيء من طعام وشراب ونوم هانئ.

وفي شاهد آخر للجناس في شعر العباس قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٥٧):

إذا ما جَنَتْ ذنباً تلّمستُ عُذرَهَا فإن لم أجد عُذراً غَفَرتُ لها الذَّنبا

وهنا يستعين الشاعر بلفظتي (عذرها) و (عذرًا)، كاشفًا عن مدى حبه لمحبوبته إلى الحد الذي يقول إنها إذا ما اقترفت ذنباً فإني التمس لها العذر في ذلك فإن لم أجد لذنبها عذرًا، فإني أحاول أن أغفر لها ذلك الذنب وهذا كله من فرط حبه لها وهيامه بها، والأمثلة كثيرة على فن الجناس في شعر العباس بن الأحنف متناثرة بين صفحات ديوانه.

أما الطباق عند الشاعر، فلم يقل شأنًا ومساحة من ديوانه عن الجناس، فتكاد لا تخلو قصيدة من قصائده من طباق بين لفظتين يأتي بهما الشاعر لتزيين الصورة الشعرية بطريقة عفوية تتطابق مع المعنى المراد الإفصاح عنه، إذ "يطلب الشاعر الطباق لكي يوازن بين معنى سابق وآخر لاحق، أو يقع موقعه، كما تقع الأيدي مكان الأرجل في مشي ذوات الأربع" (الطيب، ١٩٨٩، صفحة ٦٦٣)، ومن أمثلة الطباق في شعر العباس قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ١٩):

رأيتُ اليأسَ يُلبسُني خُشُوعاً فأرجُوها ويعوزني الرجاءُ

فقد طابق في البيت السابق بين لفظتي (اليأس) و (الرجاء)، وهما كلمتان متضادتان لبيان حاله في اليأس من قرب حبيبته عنما يرجو وصلها.

وفي مواضع أخرى يطابق الشاعر بين فعلين متضادين ومن ذلك ما ورد في قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ١٠٤):

أبكي الذين أذاقوني مَوَدَّتَهم حتى إذا أيقظوني للهوى رَقَدوا

فقط طابق الشاعر بين الفعلين (ايقظوني) و (رقدوا)، وهي صورة جميلة يعبر بها الشاعر عن الحب الذي نشأ وكبر بينه وبين فوز، حتى هام بها واصبحت كل شيء في حياته، ثم تقابله بعد هذا الحب القوي والعارم بالصد والبعد الذي يفضي به إلى البكاء على أيامه المنصرمة معها.

ونجد الطباق كذلك في قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ١١٩):

إذا امتنع القريبُ فلم تَنَلْهُ على قُربٍ فذاك هو البعيدُ

إذ يطابق الشاعر بين لفظتي (القريب) و (البعيد) في بيان حاله مع محبوبته فيذكر أن البعيد هو من امتنع عن الوصل وتعمد الهجر وإن كان قريباً منه.

وهكذا نجد أن الصورة الشعرية قد عبرت أصدق تعبير عن خيال الشاعر وما يجول في نفسه من أحاسيس وعواطف استطاع من خلالها أن يشدّ المتلقي بطريقة عفوية يمكن للمشاعر أن تتفاعل معها وذلك من خلال استعماله للفنون البيانية والبديعية بأبهى صورة، إذ إن الصورة "تُطلق على المدركات الحسية والأنواع البلاغية، أي على الأسلوب الحقيقي في مادته الصوتية ودلالته الحسية" (عثمان، بلا تاريخ، صفحة ٢١)، فاستطاع الشاعر ان ينسج أشعاره في سياق بيان وبديعي خاص للتعبير عن تجربته الشعرية عن طريق الفنون البلاغية المختلفة.

المبحث الثاني:

مظاهر السرد في شعر العباس بن الأحنف:

مهما تميز الشعر بالغنائية وحضور (الأنا) حضورًا واضحًا، وكان معبرًا عن وجدان الشاعر وأحاسيسه، إلّا إنه لا يمكن له أن ينأى عن المظاهر السردية التي تتمثل بوجود الحوار وعنصري الزمان والمكان، فحضور تلك العناصر يُضفي شيء من المتعة والأثر في نفس المتلقي، إذ إن "السرد الحكائي في النص الشعري هو الذي يمكن أن يبعده عن الطابع الغنائي الذاتي فينقله إلى طابع إنساني، فلا يصبح النص الشعري تعبيراً عن تجربة ذاتية فحسب بل يصبح تصويرًا لتفاعل أحداث وشخصيات بما فيه من مواقف وأحداث وحوار وفضاء" (عروس، ٢٠١٦، صفحة ١٤٥). فيستثمر الشاعر تلك العناصر لتوضيح الصورة وجعل المتلقي يشهد الأحداث أمامه. وليس الهدف من ذلك كتابة قصة للقارئ بمفهومها الفني وهذا هو ما نود الاشارة إليه فالشاعر العربي اتخذ من الشعر أداة طيعة للتعبير عن مواقف وتجارب ذاتية مر بها وعاصرها وشاعرنا العباس بن الأحنف يخلد تجربته العاطفية في حبه لـــ(فوز) من خلال شعره الذي لم يخل من مظاهر سردية كشفت عن براعته ومقدرته الفنية على حسن النظم وجمال الأسلوب ومن

مظاهر السرد في شعره تبدأ بـــ(الحوار) الذي بدا واضحاً في أشعاره، ولا بد من تعريف الحوار أولًا. فالحوار هو "تبادل الحديث بين الشخصيات في القصة أو المسرحية" (وهبة و المهندس، ١٩٨٤، صفحة ١٥٤)، أي هو ترجمة لذات الشخصية إذ إننا يمكننا أن نتعرف عليها من خلال الحوار. ولم يقتصر على فنون النثر بل دخل الشعر، وأصبح أداة فاعلة في الكشف عن الشاعر وعلاقته بالطرف الأخر سواء أكان محبوبة أم زمان أم غير ذلك من نظير.

فالحوار في شعر العباس بن الأحنف نجد أن أغلبه كان على لسان الشاعر يعبر من خلاله عن واقعه النفسي وما يشعر به من عواطف وأحاسيس تجاه الحبيبة من شوق وصد وعتاب، إذ إن الحوار الذي ورد في شعر العباس بن الأحنف يمثل نوعاً من السرد والوصف الذي ألبس شعره لباس القصة، "فالحوار يساعد على فهم الشخصيات المتحاورة بشكل أكثر وضوحًا وكشف نفسياتها بذكاء وبتصوير دقيق، ويأخذ جزءًا كبيرًا من النص لأنه من وسائل السرد ... ويكشف الأحداث وتطورها ويعمل على بناء موضوع القصة فهو عنصر حاسم يرسم معالم القصة" (خوني، ٢٠١٢-٢٠١٣، صفحة ١٠)، والحوار عند العباس الأحنف انقسم على قسمين الحوار الداخلي والحوار الخارجي.

الحوار الداخلي :

وهو ما يسمى بـــ(المونولوج) وفيه يتحدث الشاعر مع نفسه أو ينقل الحديث الذي يرد في خاطره ولا يسمعه أحد، بل يعبر به عن أفكاره وما يدور في داخل نفسه "وهذا الصوت الداخلي يظهر كل الهواجس والأفكار المقابلة لها، يدور في ظاهر الشعور أو التفكير فيضيف بعدًا جديدًا يمثل في لفت المتلقي صوت آخر مقابل يغويه بما يقول، أو يعمق شعوره بالفكرة الظاهرة ويقنعه به" (همفري، ٢٠٠٠، صفحة ٥٦). ومن أمثلة الحوار الداخلي في شعر العباس بن الأحنف قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ١٥٣):

فلما لم أجد سبباً إليها يُقربني واعيتني الأمورُ
حججتُ وقلتُ قد حَجّت ظلومُ فيجمعني وإياها المسيرُ

ففي هذا البيت حوار للشاعر مع نفسه يبين فيه شوقه إلى محبوبته وغايته في التقريب من فوز بعد أن أعياه البعد وفاض به الشوق إلى لقائها.

وفي موضع آخر يناجي الشاعر فيه نفسه بقوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢١٢):

هَلّا عصـــيتَ هواكَ يـا ابـن الأحنـفِ إذ لا نصـــيـرَ لـدمِـعـكَ الـمـتـوكّـفِ
بـأبـي وأمـي ظـبـيـةً أبصـــرتـهُـا تلـك العشـــيّـة فوقَ ســـطحٍ مَشـــرفِ

وفي هذين البيتين مناجاة للشـاعر مع نفســه عبر عنها بمخاطبة ذاته باسـمه (يا ابن الأحنف)، فيطلب من نفســـه أن تكف عن هواها لأن لا أحد يقف معه في معاناته وألمه وما تذرفه عيناه من دمع بسبب وقوعه في حب فتاة شبهها بالظبية لجمالها وأوصافها الحسنة تلك هي حبيبته (فوز).

فالشاعر يريد أن يعبر عن مكنوناته ومشاعره الداخلية عن طريق الحوار الذي يكون في داخله أو بينه وبين نفسـه لكي يعمق الشـعور بالفكرة التي يريد إيصـالها ومن أمثلة حواره مع نفسـه قوله (البسـتاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٣٤):

هـتـكـتُ فـي الأُدْمِ ســـتـورَ الـهـوى ولـذة الـعـاشـــقِ فـي الـهـتـكِ
وقـلـت لـلـنـفـسِ : افـتـكـي فـي الـهـوى فـإنـمـا الـراحـةُ فـي الـفـتـكِ

وهنا يحاور الشـاعر نفســه ويقول أن لذة العشـق في ركوب الهوى وهتك سـتره فيحث نفســه في خطابه لها بأن تفتك في الحب أي أن يتجرأ في كســر الحواجز التي تحول بينه وبين محبوبته ويرتكب ما تأمره به نفسه وفي هذا راحة ولذة للعاشق.

الحوار الخارجي :

ونقصـد بالحوار الخارجي "هو الحوار الذي يكون بين شـخصـيتين أو أكثر وهو أيضـاً صـوتان لشخصين مختلفين، يشتركان معاني مشهد واحد، يبين من خلال حديثهما أبعاد المواقف، ويأتي في الغالب ليحقق أهدافاً كثيرة يســعى إليها الكاتب" (غنايم، ١٩٩٣، صــفحة ١٤)، وقد وظف العباس بن الأحنف الحوار الخارجي في اشعاره جاعلاً منه نمطاً من أنماط التواصل للكشف عن الشخصيات المتحاورة تعبيراً عن الأفكار والمواقف التي تدور بينه وبين من يتحاور معهم، ومن أمثلة الحوار الخارجي الذي ورد في شعره قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ١٦):

فقولي لها يا شمسُ عني ما الذي يَسُرُّكِ في قتلي أمالك من بُقيا؟
تصدين عي إن أشكو صبابتي ولو تفهم الأخرى تحمّلت الأخرى

وهنا يشكو الشاعر حبيبته إلى الشمس في حوار واضح (فقولي لها يا شمس) أي أنه يحاور الشمس في حديث يعبر من خلاله ما يعانيه ويكابده من قسوة وألم تصل إلى حدّ القتل جراء البعد والهجران.

وفي شاهد آخر للحوار الخارجي بين الشاعر ومحبوبته يقول فيه (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٠١):

قلتُ : أنّى اهتديتِ حتى تخطيـ تِ إليَّ الرُكابَ والهجّاعا
قالت : الشوقُ قادني في دجى الليـ لِ أجوبُ القيعانَ قاعاً فقاعا

وهنا يفصح الشاعر من خلال حواره مع محبوبته (فوز) يسألها فيه عن سبب مجيئها إليه وقت الليل والناس هجّاع فتجيبه هي بأسلوب حواري أيضًا(قالت)مبينة له أن الشوق هو من أتى بها ليلًا متخطية بذلك المخاطر التي يكتنفها الليل والناس نيّام وهي تقطع المسافات والأراضي وصولاً له.

وفي مشهد حواري آخر بينه وبين الناس يقول فيه (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٧):

وقد قال لي ناسٌ تحمّل دلالها فكُلُّ صديقٍ سوف يرضى ويغضبُ
وإنّي لأقلى بَذْلَ غيركِ فاعلمي فبخلُكِ في صدري ألذُّ وأطيبُ

يبين في هذين البيتين أنّ الناس يقولون له تحمل ما يصدر عنها من بعد ودلال فإن الرضى والغضب من صفات الصديق وهو يوجه الخطاب لها بأنه لا يرضى بوصل من غيرها وان بُخلها عليه بالوصل هو ألذ وأطيب من وصل سواها.

وفي باب الحوار الذي دار بينه وبين محبوبته قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ١٤١):

قالت قعدتَ فَلَمْ تنظر : فقلتُ لها شغلتِ قلبي فلم أقدرْ على النظرِ
غَطّى هواكِ على قلبي فَدَلّهَهُ والقلبُ أعظمُ سُلطاناً من البصَرِ

وهو حوار جميل بين الشاعر وعشيقته إذ تعاتبه على عدم النظر اليها، فيجيبها بأن حبها قد شغله فلم يستطيع النظر بل أن هواها أعياه وغطى قلبه على الرغم من قوة سلطان القلب مقارنة بالبصر.

فمن خلال الحوارات التي وردت في شعر العباس بن الأحنف نجد أن الشاعر يُحدث تفاعلاً بينه وبين محبوبته معبراً عن لواعج حبه ومشاعر الفقد والبعد ولوعة الحرمان فكشف في حواراته عن الصراع الذي يعيشه بين ما يبتغيه هو وما يفرضه عليه الواقع بإحساس صادق واسلوب مباشر سواء أكان ذلك الحوار بينه وبين المحبوبة أو بينه وبين الناس.

المكان :

يرتبط عنصر المكان في دراسته بالتحليل الروائي في الأساس كونه هو المجال الثاني تجري فيه الأحداث سواء أكان في القصة أو الرواية فالأحداث لا بد لها من حيز أو فضاءً يحتضن ويحدد أبعادها ويضفي لها قيمة اجتماعية استناداً للمكان ونوعه. أما في الشعر فالمكان يمثل أهم عنصر في تشكيل جمالية النص فنرى علاقة الشاعر بالمكان واضحة ووثيقه مثله مثل أي إنسان يتفاعل معه ويتأثر به ويؤثر فإذا كان "الإنسان بصفة عامة يرتبط برباط عميق مع المكان فإن الشاعر يكون أشد ارتباطاً به لأنه أكثر عمقاً وإدراكاً لمعطياته وأكثر تفاعلاً معه وأقوى تأثراً به في نتاجه وهذا ما شهدناه من الشعراء على مر التاريخ الأدبي" (صلاح، ٢٠١٠، صفحة ١٤)، ونجد في شعر العباس بن الأحنف أن علاقته بالمكان تتحدد بعوامل نفسية واجتماعية، ولاسيما أنه شاعر وجداني إذ شكل الانفعال عنده عامل أساس في تحديد مسيرته وتجربته الانفعالية، فلا بد أن يكون هناك تفاعلاً بينه وبين المكان المُستدعى في نصوصه الشعرية، سواء أكان المكان أليفاً أم معادياً بالنسبة له ومن أمثلة المكان الأليف في شعره قوله (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ١٤٤):

وسكنتم من بَطنِ دجلةَ منظراً أنِقَ المرَابعِ طيّبَ المُتنظَّرِ
وكأنّ دِجلةَ مُذْ حللتُمْ قُربَها تجري لساكِنِها بماءِ الكوثرِ

فالمكان الأليف يرتبط عادة بالمواقف الايجابية التي تحصل للشاعر والعباس بن الأحنف في هذه الأبيات يتغنّى بالمكان الذي سكنت به محبوبته ويصفه بأنه حلو المنظر وإنه ازداد جمالاً منذ أن حلت به فوز وسكنته.

وفي موضع آخر يقول فيه (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢١):

وكنتم تزينون العراقِ فشانَهُ ترحّلكُمُ عنه وذاك مذيبي
وكنتم وكنا في جوارٍ بغبطةٍ نخالسَ لحظَ العينِ كُلَّ رقيب

وهنا يخاطب الشاعر المحبوبة مستحضراً المكان وهو (العراق) ويخبرها بأن وجودهم فيه يزينه ويضفي له جمالاً، وأن ترحلهم وابتعادهم عنه غيّر صورة المكان في عينيه كأنما تحول المكان من مكان أليف وجميل في نظر الشاعر إلى مكان معادي بذكره لفظة (فشانَه) أي عابَه ابتعادكم عنه وترحلكم منه وهذا ما يترك أثراً سيئاً في نفس الشاعر، فالمكان "هو الفضاء الأمثل الذي تنهل منه عملية الابداع لدى الشاعر تصوراتها وشعورها، وذلك عبر التجادل بينه وبين الذات" (عقاق، ٢٠٠١، صفحة ٢٧٩). فاستطاع الشاعر باستحضار الأمكنة في شعره أن يعمق تجربته الشعرية ويضفي إليها أبعاداً جمالية وفنية متميزة.

الزمن :

يعد الزمن عنصرًا مهمًا من عناصر بنية النص الأدبي، ولاسيما في الرواية باعتبارها الأكثر ارتباطاً بالواقع عما سواها من فنون الأدب، وذلك لأن أي نص أدبي يتم سرد أحداثه في مدة محددة من الزمن فتأخذ حيزاً من هذا الزمن وهذا ما جعل الزمن يشكل علامة فارقة في الأعمال الأدبية والسردية بشكل خاص. فكلما تأمل الأديب في الحياة وتعمق في التفكير بها ازداد احساسه بالزمن ووعيه به وهذا ما ينعكس أثره في أعماله الأدبية، "فالممارسة الأدبية هي ممارسة داخل الأزمنة المختلفة .. وإنها ممارسة من أجل الكشف عن ظواهر الزمن وما تنتجه من فضاءات مفتوحة ومتعددة المعنى والتأويل" (سليطين، ١٩٩٧، صفحة ٢٥)، ولا يختلف الأمر بالنسبة للشعر إن يشكل الزمن عاملاً مهماً في صياغة القصيدة وقد اهتم الشعراء قديماً وحديثاً يقضيه الزمن واتخذوه جزءاً فاعلاً في تشكيل صورهم الشعرية ولاسيما أن الشاعر في شعره ينقل تجارب شعورية تجسد الواقع الذي يحياه وتفصح عن معاناته خلال مراحل زمنية مختلفة، وبالنسبة لشاعرنا فإن الزمن يمثل له صراعاً يكشف فيه عن لواعج الحزن والغربة التي يعيشها وهو يكابد ألم الهوى والصبابة، فحالة الحب التي يعيشها الشاعر تتجسد في الصراع الذي يظهر بينه وبين محبوبته (فوز) بصورة شكوى من الزمن وقسوته في التفريق بينه وبينها "والعباس بن الأحنف من الشعراء الذي رسموا للزمن صوراً جسدوا فيها كل ما يعتلج في صدورهم من تناقضات تجاه الكون والحياة" (عباس

و صابل، ٢٠١٦، صفحة ٢٥)، ومن تجليات الزمن في شعر العباس بن الأحنف هو وصف حاله في وقت الليل إذ يقول (البستاني، ٢٠٠٨، صفحة ٢٧٥):

أبيتُ ليلي كُلُهُ هائماً لستُ بيقظانٍ ولا نائِمِ
جاوزتُ في الجورِ المدى كُلَّهُ يا حبُّ لو أنصفتَ لم تأثَمِ

وفي هذين البيتين يصف العباس بن الأحنف حاله وهو يقضي الليل ما بين السهر والنوم يكابد ويصارع ألم الهوى والشوق لمحبوبته ويصف الظلم الذي يلحق به من حالة الهيام التي يعيشها مخاطباً الحب بأنه لم ينصفه وإنه يرتكب إثماً عظيماً بحقه نتيجة ذلك.

وفي أبيات أخرى يقول: (البستاني، هل تذكرين حديثنا ... ديوان العباس بن الاحنف، ٢٠٠٨، صفحة ٢٧٧)

بِتُ ليلي غافلاً عَمّا بها وهي من طولِ التَشَكّي في ألمِ
لا أنامَ اللهُ عيناً رَقَدَتْ ومليكي ساهرٌ يشكو السَّقَمِ

وهنا أيضًا يصِفُ ليلَهُ وهو يقضيه غافلًا لا يدري ما تعاينه محبوبته من ألم نتيجة مرضها فيدعو على نفسه بأن لا تنام عيناه وحبيبته ساهرة تشكو الألم والسقم، وهذا يمثل قمة التفاني والتضحية في سبيل الحب.

وفي موضع آخر تمثل الذكرى لدى الشاعر إحساس بالزمن المنصرم إذ يقول: (البستاني، هل تذكرين حديثنا ... ديوان العباس بن الاحنف، ٢٠٠٨، صفحة ٢٧٦)

هل تذكرين حديثنا والّليلُ مُسَوَّدٌ بهيمُ
إذ نحنُ نَعصي في الهوى قولَ الوشاةِ ومن يلومُ

إن استهلال الشاعر بالفعل (تذكرين) يُفصح عن الإحساس الحاضر في ذهن الشاعر فهو يربط بين زمنين مختلفين الماضي والحاضر مذكّراً إياها بحديثٍ دار بينه وبينها في ليلة من الليالي واصفاً تلك الليلة بسوادها وعتمتها وما دار بينهما حول الوشاة وتجاهلهما لأحاديثهم في اللوم والعذل بهدف التفريق بينهما.

فالذاكرة تعد "مصدرًا أساسيًا من مصادر تمويل التجربة بعناصر نشاط وفعل متنوعة يعمل النص الشعري على تشكيل أجزاء مهمة في كيانه النصي" (عبيد، ٢٠٠٠، صفحة ٣١).

ولم يقتصر الزمن عند العباس بن الأحنف على الليل فحسب، بل ورد عنصر الزمن بمسميات مختلفة كـ(الدهر، والمساء، والغروب، والصباح، واليوم، والشهر، والأسحار)، وهذا يدل على اهتمام الشاعر بقضية الزمن التي عبر من خلالها عن مشاعره وأحاسيسه وتجاربه، إلّا أنّ الليل كان له النصيب الأكبر في ديوانه ولاسيما أن الشاعر هو عاشق وإن غرضه الأثير هو الغزل فليل العاشق هو الليل المرتبط بحالته النفسية فيرى الليل طويلًا مثقلًا بالهموم وهو يصارع الشوق أملًا في رؤية المحبوبة والقرب منها.

خاتمة البحث:

١- يمثل العباس بن الأحنف ظاهرة فريدة بين شعراء عصره إذ قصر شعره على الغزل فلم يمدح ولم يهج على عادة شعراء ذلك العصر، وتميز غزله بالعفة والطهر حتى أصبح الغزل العفيف عنوانه الأشهر بعيداً عن الابتذال والإباحية.

٢- تميز شعر العباس بن الأحنف بخصائص عدّة منها أن شعره جاء في أغلبه على شكل مقطعات بعضها لا يتجاوز البيتين، فلم نجد في ديوانه قصائد طويلة، ويعزى ذلك إلى التطور الحضاري الذي شهده المجتمع العباسي مما نأى بالشاعر عن كتابة القصائد الطوال تماشيًا مع ذوق المجتمع وحضارته فضلًا عن مناسبة شعره للغرض الذي كتب فيه وهو الغزل فكانت تلك المقطعات تعبيرًا عن موقف معين عاشه الشاعر لا يحتمل الإطالة والوقوف عنده طويلًا.

٣- تعددت الصور الشعرية عند العباس بن الأحنف، فقد وظف التشبيه والاستعارة والمحسنات البديعية خدمة للنص الشعري بما يتماشى مع غرض الغزل الذي آثره على باقي الأغراض، فجاءت صوره مشحونة بالعاطفة والخيال، مما أضفى على شعره عمق التجربة وصدق الشعور.

٤- ظهرت عند الشاعر بعض مظاهر السرد بتوظيفه عنصري الزمان والمكان اللذان يعدان الوعاء الذي يضم النص الأدبي، أو الإطار الذي يؤطر الحدث، فقد ورد في شعره ألفاظاً كثيرة للمكان أغلبها كانت أسماء لبلدان ومناطق نزل بها الشاعر وكانت له فيها ذكريات وتجارب، فضلًا عن استعماله للألفاظ الدالة على الأزمان المختلفة التي جسدت معاناته وألمه تارة وفرحه وسروره تارة أخرى .

٥- استثمر الشاعر الحوار في شعره بشكل منسجم مع الأحداث وجاءت حواراته مشحونة بالعاطفة وفيها نوع من السرد والوصف، وتميزت بأسلوب رقيق وألفاظ عذبة تنم عن رهافة الحس وصدق الشعور.

٦- استطاع الشاعر من خلال ديوانه الغزلي أن يجمع بين الشاعرية المتمثلة بالصور الشعرية المختلفة وما اتسمت به من خيال ورقة شعور وبين السردية التي اسهمت في تشكيل تجربته الشعرية من خلال توظيفه لعنصر الحوار إلى جانب الزمان والمكان، فدخول السرد في الشعر عمّق مستوى الممارسة الأدبية لدى الشاعر مما منح النص الشعري نصيب وافر من الابداع والشمول.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن رشيق القيرواني. (١٩٨٥). *العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده* (المجلد ط٥). (تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، المحرر) دار الجيل.

٢. ابن منظور الاغريقي. (٢٠١٠). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

٣. أبي الفرج الأصفهاني. (١٩٣٥). *الأغاني*. القاهرة: دار الكتب المصرية.

٤. أبي علي بن احمد بن سعيد بن حزم الأندلسي. (بلا.ت). *جمهرة أنساب العرب* (المجلد ط٥). (تحقيق وتعليق : عبد السلام محمد هارون، المحرر) القاهرة: دار المعارف.

٥. الخطيب البغدادي. (٢٠٠٤). *تاريخ بغداد* (المجلد ط٢). (دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، المحرر) بيروت: دار الكتب العلمية.

٦. أميرة محمود عبد الله. (٢٠١٢). *المظاهر الحضارية في شعر علي بن الجهم*. بابل: بحث منشور في مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية.

٧. توفيق سليطين. (١٩٩٧). *الزمن الأبدي في الشعر الصوفي (الزمان، الفضاء، الرؤيا)*. سوريا: دار نون للدراسات والنشر.

٨. جابر عصفور. (١٩٩٢). *الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب* (المجلد ط٣). بيروت: المركز الثقافي العربي.

٩. جاسم محمد عباس، و عارف عبد صابل. (٢٠١٦). جدلية الأنا والآخر في شعر العباس بن الأحنف، قراءة في نسقية التضاد. *مجلة البحث العلمي في الآداب*(ج٣).

١٠. جان كوهن. (١٩٩٠). *بنية اللغة الشعرية* (المجلد ط١). (ترجمة : أحمد درويش، المترجمون) القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.

١١. د. طانية حطاب. (٢٠١٧). الصورة في تصور الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني. *مجلة جسور المعرفة*.

١٢. روبرت همفري. (٢٠٠٠). *تيار الوعي في الرواية الحديثة*. (ترجمة : محمود الربيعي، المترجمون) القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣. شوقي ضيف. (١٩٦٦). *تاريخ الأدب العربي* (المجلد ط٨). القاهرة: دار المعارف.

١٤. عاتكة الخزرجي. (١٩٥٤). *ديوان العباس بن الأحنف* (المجلد ط١). القاهرة: دار الكتب المصرية.

١٥. عبد الحميد محمد بدران. (٢٠١١). المقطعات الشعرية أصولها وسماتها الفنية. *مجلة حوليات التراث*.

١٦. عبد العزيز العتيق. (١٩٨٥). *علم البيان*. بيروت: دار النهضة العربية.

١٧. عبد الفتاح عثمان. (بلا تاريخ). التشبيه والكناية بين التنظيم والتوظيف الفني. القاهرة. مكتبة الشباب.

١٨. عبد القاهر الجرجاني. (١٩٩١). *أسرار البلاغة*. (تحقيق : محمود محمد شاكر، المحرر) القاهرة: دار المدني.

١٩. عبد الله الطيب. (١٩٨٩). *المرُشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها*. مطبعة الكويت.

٢٠. عبد الله زيد صلاح. (٢٠١٠). جماليات المكان في شعر حسن الشرفي. *مجلة غيمان*.

٢١. عفيف عبد الرحمن. (٢٠٠٠). *معجم الشعراء العباسيين* (المجلد ط١). بيروت: دار صادر.

٢٢. علية خوني. (٢٠١٢–٢٠١٣). *الأبعاد الدلالية للحوار الشعري في ديوان العباس بن الأحنف*. رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة بسكرة، الجزائر.

٢٣. قادة عقاق. (٢٠٠١). *دلالة المدينة في الخطاب الشعري المعاصر*. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

٢٤. كرم البستاني. (٢٠٠٨). *ديوان العباس بن الاحنف* (المجلد ط٢). بيروت: دار صادر.

٢٥. كمال أبو ديب. (١٩٨٤). *جدلية الخفاء والتجلي* (المجلد ط٣). بيروت: دار العلم للملايين.

٢٦. مجدي وهبة، و كامل المهندس. (١٩٨٤). *معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب*. منشورات مكتبة لبنان.

٢٧. محمد صابر عبيد. (٢٠٠٠). *المتخيل الشعري – أساليب التشكيل ودلالات الرؤية في الشعر العراقي الحديث* (المجلد ط١). بغداد: منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.

٢٨. محمد عروس. (٢٠١٦). البنية السردية في النص الشعري متداخل الأجناس. *مجلة اشكالات في اللغة والأدب*.

٢٩. محمد غنايم. (١٩٩٣). *تيار الوعي في الرواية الحديثة*. بيروت: دار الجيل للطبع والنشر.

٣٠. يحيى بن حمزة العلوي. (٢٠٠٢). *الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز* (المجلد ط١). بيروت: المكتبة العصرية.